كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي
قراءة في التوليفة الزمنية لقصص الحب وأخباره

أ.منصور بويش
جامعة الجزائر 2

ملخص:

يعدّ الزّمن عنصرا أساسيا من عناصر البنية السّردية للقصّة سواء باعتبارها نوعا أدبيا مستقلا بذاته، أو باعتبارها محتوى في كتاب قد لا يكون بالضرورة سردا؛ ذلك أنّه لا يمكننا تصوّر قصّة دون بنية زمنية تتحكّم في أحداثها وتؤطّر تسلسلها.

على هذا النّحو تسعى هذه القراءة إلى تحليل البنية الزّمنية في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألّاف لابن حزم الأندلسي، ليس باعتباره خطابا سرديا، وإنما باعتباره كتابا تضمّن قصصا وأخبارا أوردها ابن حزم، حيث عرّجنا في التحليل على أهم ما جاءت به النّظرية البنيوية بزعامة جيرار جينيت فيما يتعلّق بمعالجة الزّمن، مركّزين على القضايا الكبرى كالترتيب والمدّة والتّواتر.. لتشكّل هذه القضايا معا ما اصطلح عليه بالتّوليفة الزّمنية.

الكلمات المفاتيح:

- الزّمن – البنية – التّوليفة – السّرد- القصّة - الخبر

Résumé:

Cet article est une approche critique élaborée selon la théorie narrative consacrée de Gérard genette, spécialement en ce qui concerne le temps et ses multiples manifestations narrative, à l'instar de la durée, l'arrangement et la fréquence, cela dit , nous allons vérifier la validité de ces principe quant il s'agit d'histoires incluses dans un corpus classique de la littérature arabes ancienne, (toq al-hamama) d'ibn hazm al-andaloussi, en l'occurrence.

Ainsi, nous allons démontrer que, même si cet œuvre là n'est pas particulièrement narrative, elle a produit d'intéressants passages ou se manifeste la majorité des

éléments des récits romanesques, y comprit, le temps, qui est, en fait, le but final de cet article.

Mots clés:
-Temps -Structure -Combine -Narration –Le Récit - L'histoire.

*** *** ***

طوق الحمامة وإشكالية حضور الظاهرة السردية:

يعتبر كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي من التحف الأدبية الّتي عالجت الحب بعمق وفهم كبيرين، على الرغم من أنّ هذا الموضوع قديم في الأدب العربي، فهو نتاج فكري فريد من نوعه، لالتزام صاحبه فيه منهجا علميا مستقلا، لا يأخذ برأي قائل، ولا ينقاد إلا لعقله.[1] وفي التأكيد على هذا يقول ابن حزم الأندلسي في مقدمة كتابه: " وألزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك، ولاقتصار على ما رأيت أو صح عدي بنقل الثقات، ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتحلى بحلي مستعار. والله المستغفر والمستعان، لا رب غيره".[2]

وتتميز رسالة طوق الحمامة (مثلما اصطلح عليها صاحبها) ببنية فنية فريدة، جمع فيها بن حزم بين أسلوبين فنين هما الشعر والنثر، معتمدا طرائق فنية وأنماط متنوعة منها التقرير والخبر والحكي والوصف، إضافة إلى التحليل والشرح. ويرى إحسان عباس في هذا الصدد أنّ ابن حزم في طوق الحمامة يقوم على أربع طرائق مختلفة، تأتي أحيانا مجتمعة في الفصول الطويلة، فينتقل القارئ فيما بينها نقلات مريحة، وتلك الطرائق هي التقرير والخبر والحكاية والوصف الفني. ويجمع بينها التكثيف المتعمّد، استجلابا للقوة في طبيعة الأسلوب وطلبا للتأثير. وإن كانت الحكاية غالبا أقلها حظا من ذلك، ويليها في الإكثار منه التقرير، ثم ينفرد الوصف الفني بالبلاغة في التكثيف.[3] ففي أسلوب التقرير يحاول ابن حزم أن يحيط بالشيء الّذي يكتب عنه من جميع النواحي، ومن ذلك قوله:" ومن عجيب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبوبه، وصرفه طباعه قصرا إلى طباع من يحبه، وربما يكون المرء شرس الخلق صعب الشكيمة جموح القيادة ماضي العزيمة حميّ الأنف أبيّ الخسف . فما هو إلا أن يتنسّم نسيم الحب، ويتورط

غمره ويعوم في بحره. فتعود الشراسة ليانا والصعولة سهلة والمضاء كلالة والحمية استسلاما ".[4] وأما الخبر فقد أكثر منه على عكس الحكي، حيث استعمله للتوضيح والاستشهاد واستخلاص العبرة، وهذه الأخبار استقاها من واقعه الاجتماعي، حيث يقول: " ومن أرفع ما شاهدته في الوفاء في هذا المعنى، وأهوله شأنا، قصة رأيتها عيانا، وهو أني أعرف من رضي بقطيعة محبوبه وأعز الناس عليه، ومن كان الموت عنده أحلى من هجر ساعة في جنب طيّه لسر أودعه، وألتزم محبوبه يمينا غليظة ألّا يكلمه أبدا وأن لا يكون بينهما خبر أو يفضح إليه ذلك السر، على أنّ صاحب ذلك السر كان غائبا، فأبى من ذلك، وتمادى هو على كتمانه والثاني على هجرانه، إلى أن فرقت بينهما الأيام ".[5] أما الوصف فقد خصص له ابن حزم قسطا كبيرا من العناية والاهتمام، ذلك لأنّه كان يتمتع بطاقة شعورية وقوة في التعبير، كما أن الوصف في هذا المقام يعطي صورة واضحة عن حياة الكاتب والمجتمع الّذي يحيط به والمرحلة التي كانت تمر بها الأندلس.[6] فنجده يقول في ذكر بعض أوصاف القنوع :" ومن القنوع الرضا بمزار الطيف وتسليم الخيال، وهذا إنما يحدث عن ذكر لا يفارق وعهد لا يحول وفكر لا يتقضي، فإذا نامت العيون وهدأت الحركات، سرى الطيف ".[7] ولعل الهدف من توظيف كل الأساليب المذكورة آنفا، هو استنباط أسس وقواعد وموجّهات السلوك الإنساني وآداب العاملة، ما يجعل هذه الرسالة حبلى بالقيم الراقية والمُثل الرفيعة.

ولكن (وعلى الرغم من تنوع وكثافة الأساليب المستعملة في طوق الحمامة)، فإنّ السرد يدخل إلى الكتاب من باب واسع عبر الخطة الّتي انتواها المؤلف كتابه فذكرها في المقدمة.[8] كذلك تكشف بنية الكتاب عن احتوائه على السرد – كما سنحاول التوضيح – فإنّ موضوعة الحب تشكل البنية الدلالية الكبرى للكتاب، وتأخذ أبواب الكتاب طابعا تحليليا لهذه الظاهرة الإنسانية (أي أسلوب التحليل المذكور فيما سبق)، فقد أراد ابن حزم أن يوزع معالجته لظاهرة الحب على أربعة أقسام تقع في ثلاثين بابا.[9] حيث يقول:" وقسمت رسالتي هذه إلى ثلاثين بابا منها في أصول الحب عشرة... ومنها في أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر بابا... ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب... ومنها

بابان ختمنا بهما الرسالة ".[10] ويلاحظ أنّ بنية التضاد الّتي اعتمد عليها في تنسيق أبوابه داخل الكتاب كانت واضحة في ذهن ابن حزم من المقدمة، وجاء الاختلاف بين النية والفعل أو الخطة والتطبيق مؤكدا لها، فقد انتوى أن يجعل في أعراض الحب وصفاته اثنا عشر بابا منها

- باب طي السر ثم باب الكشف والإذاعة.
- باب الطاعة ثم باب المخالفة [11]

وهذه البنية الشكلية تتميّز بالترابط المنطقي الّذي يدل ويحيل على محتوى تنظيمها الدلالي والمعنوي ما يدفع إلى القيام بمقاربة أخرى باطنية لنص الرسالة في نظامه الأدبي السيميائي، من خلال بنية المعنى، وذلك لإظهار تلك البنية القائمة في انتظامها العام عند الناقد الغربي غريماس A.J Greimas، ذلك المعنى الّذي لا يتضح عنده إلا من خلال تعارضه مع الضد، وفعلا بالأضداد تعرف الأشياء.[12] وعلى العموم سنحاول تقصي إحدى القضايا السردية في الكتاب، وهي قضية الزمن وبنيته، حيث إنها من أهم قضايا السرد، والتي تثبت حضوره في النص.

البنية الزمنية La Structure temporelle:

يقتضي الحديث عن الزمن ضرورة ربطه بعنصر آخر ملازم له وهو المكان، فالعلاقة الّتي تربط الزمن بالمكان هي علاقة تكامل، فكل منهما يكمل الآخر، ومن ثم لا وجود لأحدهما دون الأخر؛ بمعنى أنّ هذه العلاقة أساسية لأنّها تشخص جدلية في الحياة، وتشخص جدلية الواقع الروائي في حد ذاته. وقد يستحيل تناول أحدهما بمعزل عن الآخر، وإن سمحنا لأنفسنا بهذا الأمر، فإنما يكون ذلك على المستوى الإجرائي لا غير.[13] وعندما نتحدث عن المكان، تتبادر إلى أذهاننا مباشرة كلمة زمن، وكأنّ الثاني يكمل الأول، والأول لا يستغني عن الثاني، حتى أنّ الدراسات الحديثة اختصرتهما في كلمة واحدة هي الزمكان، على الرغم من أنّ المكان يدرك إدراكا حسيا مباشرا، والزمن يدرك إدراكا غير مباشر، من خلال فعله في الأشياء. فهما عنصران يتدخلان تدخلا مباشرا ومتكاملا في شخصيات القصة وأحداثها.[14]

نّ أهمية الزمن من حيث هو مكوّن لا تتوقف فقط عند الحد الّذي يجعلنا نلتفت لوجوده الدائم في مراحل تكوين وتلقي الأنواع الأدبية عموما، بل إنّ له موقعه المهم داخل البنى الأدبية، خاصة السردية منها، ذلك الموقع الّذي يصل أحيانا لمرتبة الصدارة، حيث يعد أحد أهم مكونات السرد.[15] وقد أشار هنري جيمس إلى صعوبة تناول عنصر الزمن وأهميته في البناء القصصي، واعتبره الجانب الأكثر صعوبة وخطورة؛ إذ يستدعي عناية فائقة من القاص.[16]

ولإن تعددت الإسهامات في تحليل الزمن السردي، وتوضيح إشكاليته، فأننا سنقتصر في دراستنا بما يتوافق مع طبيعة أخبار وقصص طوق الحمامة مستفيدين من التقسيم الثلاثي الّذي وضعه جيرار جينيت لدراسة الزمن، والمتمثل في الترتيب والديمومة والتواتر.

أ - النظام (الترتيب) الزمني L'ordre temporel:

عدّ جيرار جينيت الثنائية الزمنية الّتي تكشف عن التعارض بين زمن القصة وزمن السرد (زمن الخطاب)، أهم ما يميّز السّرد الأدبي، من ناحية مستويات إعداده الجمالي، عن غيره من الأنواع السردية الأخرى كالسرد الشفوي وسرد الأفلام.[17] حيث إنّ دراسة النظام الزمني لقصة ما، هو مقارنة ترتيب الأحداث أو القاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام ترتيب هذه الأحداث في الحكاية (كما جرت)، وتستدعي هذه المقارنة وجود نقطة تكون نقطة الصفر الّتي يتفق فيها الزمنان، وغالبا ما تكن هذه النقطة هي نقطة انطلاق رواية الأحدث، وإذا كان الترتيب القصصي واضحا، فإنّ الأمر لا يختلف بالنسبة للترتيب الزمني، إذ إنّ الإشارات الدالة على الزمن كفيلة بتوضيح غوامضه. ولا يمكن أن يتّحد النظامان أو يتّفقا، إلا إذا كان ترتيب الأحداث في القصة موافقا لترتيبها في الخطاب، فأمّا الاختلاف فيأخذ صورتين؛ فهو إما رجوع إلى الوراء أي تأخر في السرد بالنسبة للتطور الزمني للحدث، أو استباق لهذا التطور، أي تقدم في السرد على حساب التسلسل الزمني.[18]

ويلاحظ في هذا الصدد أنّ أخبار طوق الحمامة تقدّم سردا لاحقا Narration ultérieur أو حكيا استعاديا قد تأخر فيه زمن القصة (الأحداث) عن زمن السرد (الخطاب) كثيرا، ولا يبين ذلك من خلال الأفعال الماضية الخاصة

بالسرد فقط، وإنما من خلال التباين الواضح أيضا بين مكان السرد ومكان القصة أحيانا.[19] مثلما يتضح من خلال قوله في باب قبح المعصية :" ومما يدل على شنعة الزنا ما حدّثنا القاضي أبو عبد الرحمان... أنّ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أصاب في زمانه ناسا من هُذيل، فخرجت جارية منهم، فأتبعها رجل يريدها عن نفسها، فرمته بحجر، فقضت كبده. فقال عمر: هذا قتيل الله والله لا يودي أبدا ".[20] فمكان القصة هو الحجاز غرب شبه الجزيرة العربية، أما مكان السرد قرطبة، ويتجلى زمن السرد اللاحق لزمن القصة في تأخر زمن السارد عن زمن عمر بن الخطاب.

وربما كان لهذا التباين الواسع بين زمن السرد وزمن القصة أثره في انتظام السرد في طوق الحمامة، في زمن خطي تصاعدي، ذو ترتيب مثالي، يتحقق فيه التوازن بين زمن الخطاب وزمن القصة، وربما كان ذلك التوازن للبساطة الغالبة على البنى السردية في الكتاب، شأنه شأن السرد القديم بصفة عامة.[21] مثلما يتجلى لنا في قوله: " وحدثني موسى بن عاصم بن عمرو قال: كنت بين يدي أبي الفتح والدي رحمه الله، وقد أمرني بكتاب أكتبه إذا لمحت عيني جارية كنت أكلف بها، فلم أملك نفسي ورميت الكتاب عن يدي وبادرت نحوها وبهت أبي، وظن أنه عرض لي عارض، ثم راجعني عقلي فمسحت وجهي، ثم عدت واعتذرت بأنه غلبني الرّعاف ".[22] حيث نلاحظ بين زمن القصة وزمن الخطاب، وتلعب حروف العطف دورها في ترتيب أحداث القصة، الّذي هو ترتيبها في الخطاب على النحو الآتي:

- كنت بين يدي والدي
- فجأة لمحت عيني جارية كنت أكلف بها
- لم أملك نفسي ورميت الكتاب وبادرت نحوها
- وبهت أبي وظن أنّه عرض لي عارض
- ثم – أي بعد برهة – راجعني عقلي، فمسحت وجهي
- ثم – أي بعد تلبث يسير – عدت واعتذرت بأنه غلبني الرعاف

ومع ذلك فالتحريفات الزمنية اليسيرة بادية مثلا في قوله وقد أمرني بكتاب أكتبه، يمكن أن يسبق الأمر فيه جلوسه بين يدي والده. ولا شك أنّ كلفه بالجارية يسبق لمحه إياها، وكذلك اعتذاره لا بد أن يسبق فيه الرعاف أي فعل بدر من الراوي الشخصية.[23] وهذا التوازن الّذي تتخلله التحريفات الزمنية مرده إلى التلخيص في سرد الأحداث.

ب – الديمومة (المدة) La Durée:

تختلف طبيعة النص القصصي من حيث العلاقة بين الزمن والمقاطع الّتي تعطي هذه الفترة، ومدى التطابق بينهما، علما أنّ التطابق الكامل لا وجود له في الواقع، وأنّ الزمن الطبيعي لوقوع الأحداث، لا يذكر في كلمات النص، ليستطيع الباحث أن يتبيّن نسبته الصحيحة، فلا شك أنّ تقديم زمنية قصيرة في عدد كبير من الصفحات يؤدي إلى إيقاع مختلف عن معالجة فترة زمنية طويلة ممتدة في بضعة أسطر، فإذا طالت الديمومة في السرد قصرت في الحقيقة. والديمومة هي تلك العلاقة الّتي تربط بين زمن القصة الذّي يقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور، وطول النص القصصي الذي يقاس بالأسطر والصفحات الجمل والفقرات، مما يقودنا إلى استقصاء السرعة والتغيرات الّتي تطرأ على نسقه.[24] فإذا كانت العلاقة بين الأحداث في القصة وتسلسلها في الخطاب ممكنة التحديد، فإنّ الأمر يختلف بالنسبة للعلاقة بين الفترات الّتي تستغرقها الأحداث في القصة وتلك تقابلها في الخطاب، لأنّ فترة الخطاب مستحيلة القياس، ما هي في الواقع سوى الفترة الّتي تستغرقها قراءة نص القصة، وهي فترة تختلف من شخص إلى آخر. ويعود سبب استحالة القياس إلى عدم وجود نقطة مرجعية تكون بمثاب الدرجة الصفر أو نقطة التطابق بين الفترة الحقيقية والفترة المتخيلة.[25] وعلى العموم فإنّ أخبار طوق الحمامة تعتمد على الإيقاع السريع، ولذلك يسودها التلخيص والحذف، وتعتمد كثيرا على المشهد، حيث يتساوى زمن الخطاب وزمن القصة، ويقل خلالها، أو يأتي في خدمة التلخيص.[26]

أشكال سرعة السرد:

يعتمد تحديد العلاقة بين القصة والخطاب على قياس سرعة السرد، وهي سرعة متغيرة وغير قارة، لأنّ القصة لا يمكن أن تكون خالية من آثار الإيقاع

الزمني؛ فالسارد يهتم ببعض الفترات دون غيرها، فيطنب في تفصيل بعض الأحداث والمشاهد، بينما يسرد البعض الآخر بإيجاز، وقد يقطع من الزمن الحكائي أحداثا بأكملها، دون أن يكلف نفسه عناء الإشارة إلى هذا الاقتطاع، فالسرد في حركيته يأخذ أشكالا متعددة.[27] حيث يحدد جيرار جينيت هذه الأشكال في:

الحذف L'éllipse:

ويسميه البعض بالقطع، وهو من أشكال تسريع السرد، وهو كما أشرنا آنفا تجاوز فترة زمنية كاملة دون أي إشارة إليها. وهو نادر في طوق الحمامة، لأنّ قصصه وأخباره، تنعنى في أغلبها بمحادثة جزئية تقع في زمن ضئيل، ويكاد يوجد في الأخبار السير الذاتية.[28] كما هو الحال في قوله في باب من أحب بالوصف:" إنّه كان بيني وبين رجل من الأشراف ود وكيد وخطاب كثير، وما تراءينا قط، ثم منح الله لي لقاءه. فما مرّت إلا أيام قلائل، حتى وقعت لنا منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة إلى الآن ".[29]

فقد كان هناك إخفاء لبعض الأحداث (فما مرت إلا أيام قلائل)، وتلخيص للأحداث (ود وكيد وخطاب).

الخلاصة Le Sommaire:

وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنّها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل.[30] وهي أيضا من أشكال تسريع السرد. ومن نماذج ذلك في طوق الحمامة، قوله في باب القنوع :" وأخبرني بعض إخواني عن سليمان بن أحمد الشاعر، أنّه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقيلية، وذكر أنّه كان غاية في الجمال، فشاهده يوما في بعض المتنزهات ماشيا وامرأة خلفه تنظر إليه، فلما بعد أتت إلى المكان الذي قد أثّر فيه مشيه، فجعلت تقبله وتلثم الأرض الّتي فيها أثر رجله ".[31] فقد اعتمد على التلخيص الّذي يشير إلى تتابع الأحداث، وذلك باستخدام حرف العطف(ف) الّذي يدل على التوالي.

إنّ استعمال تقنيتي الحذف والخلاصة، يدل على استخدام السرد السريع، فكما لاحظنا أنّ زمن السرد كان سريعا جدا، غير أنّ هذا لا يمنع من إمكانية تعطيله أحيانا أو تبطئته، إذ إنّ وجود الحوار في القصة دليل على وجود تقنية أخرى وشكل آخر لسرعة السرد، تعرف بالمشهد.[32]

المشهد Le Scène:

يقصد المشهد المقطع الحواري الّذي يمثل بشكل عام اللحظة الّتي يكاد يتطابق فيها زمن السرد مع زمن القصة، من حيث المدة الزمنية. وإن كان الناقد البنيوي جيرار جينيت ينبه إلى أنّه ينبغي دائما أن لا نغفل أنّ الحوار الواقعي الّذي يدور يمكن أن يدور بين أشخاص معينين، قد يكون بطيئا أو سريعا، حسب طبيعة الظروف المحيطة، كما أنّه ينبغي مراعاة لحظات الصمت أو التكرار. مما يجعل الاحتفاظ بالفرق بين زمن حوار السرد وزمن حوار القصة قائما على الدوام.[33]

ويوجد المشهد بشكل أساسي في طوق الحمامة، من خلال القصة الّتي تعتمد بنية الاستخبار والإخبار، لأنها تستهدف بشكل رئيسي نقل الأقوال والعبارات.[34] ومن أمثلته قوله في باب علامات الحب: " ولقد كنت يوما قاعدا في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وكان بصيرا بالفراسة محسنا لها. وكنا في لمّة، فقال له مجاهد بن الحصين القيسي: ما تقول في هذا ؟ وأشار إلى رجل منتبذ عنّا ناحية اسمه حاتم ويكنَى أبا البقاء، فنظر إليه ساعة يسيرة، ثم قال: هو رجل عاشق، فقال له: صدقت، فمن أين قلت هذا ؟ قال: لِهْت مفرط ظاهر على وجهه فقط، دون سائر حركاته، فعلمت أنّه عاشق وليس بمريب ".[35] فقد ابتدأ بالتلخيص وإن اشتمل على وصف لازم للطبيب الإسرائيلي(وكان بصيرا بالفراسة محسنا لها)ن ثم انفتح التلخيص على مشهد يوقف الحركة السردية لنقل لنا الحوار الذي دار بين الطبيب ومجاهد القيسي.

الوقفة La Pause:

الوقفة شكل آخر من أشكال تعطيل السرد، فهي تشرك مع المشهد كونهما يشتغلان على حساب الزمن الّذي تستغرقه الأحداث، وذلك بتعطيل زمن

السرد وتعليق مجرى القصة.[36] وتحدث الوقفة عندما ينتقل السارد إلى الوصف الذي يقتضي قطيعة في السيرورة الزمنية فيعطل حركتها.[37]

ولمّا كانت لغة طوق الحمامة متسّمة بالاقتصاد، ندر فيها الوصف الخالص الّذي يؤدي وظيفة تزيينية أو زخرفية، ويؤدي إلى تعطيل الأحداث. وإنما يأتي الوصف غالبا في خدمة السرد.[38] مثلما ورد في باب المساعد من الإخوان " وإنّي لأعلم امرأة موسرة ذات جوارٍ وخدم، فشاع على إحدى جواريها، أنّها تعشق فتى من أهلها ويعشقها، وأنّ بينهما معاني مكروهة، وقيل لها: إنّ جاريتك فلانة تعرف ذلك. وعندها جلية أمرها. فأخذتها، وكانت غليظة العقوبة، فأذاقتها من أنواع الضرب والإيذاء ما لا يصبر على مثله جلداء الرجال، رجاء أن توح لها بشيء ممّا ذكر لها، فلم تفعل البتة".[39] فإنّ وصف المرأة بأنّها ذات جوار وخدم كان شروريا لكي تقع أحداث القصة بين جواريها، ووصفه لها بأنها غليظة العقوبة يمهد لرد فعلها على ما سمعت به في بيتها، ويجعلنا نتوقعه، وكذلك وصف الضرب الّذي نال الجارية، وقد جاء من خلال سرد الأحداث في قول الراوي " فأذاقتها من أنواع الضرب والإيذاء ما لا يصبر على مثله جلداء الرجال، مما يعلي من بطولة الجارية.[40]

ج – التواتر السردي La Fréquence narrative:

يقصد بالتواتر في السرد مجموع علاقات التكرار بين القصة والخطاب.[41] حيث يحصي جيرار جينيت أربع حالات للتواتر فقد يسرد الخطاب مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، أو أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة، أو أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة، أو مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة.[42] وهو مقولة تقع ضمن إطار البحث في زمنية القصص، على الرغم من وقوع الاختلاف في عد التواتر مقوله زمنية أم أسلوبية، على اعتبار التواتر هو علاقات التكرار بين القصة والخطاب وهذا التكرار أو التواتر ذو طابع زمني وعددي أيضا، لذا أكد جينيت على عده مظهرا من المظاهر الأساسية لزمن السرد، ولا يمنع ذلك من أن يكون مظهرا أسلوبيا، يكشف عن دلالات مخصوصة موضوعية أو ذاتية نفسية، من خلال التقلب على المحاور الأربعة – المذكورة – علاقات التواتر في السرد.[43]

ويلاحظ أن قصص طوق الحمامة تعتمد على وجهين اثنين من أوجه التواتر الأربعة، وهما سرد مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، أو سرد مرة واحدة ما حدث عدة مرات؛ بمعنى أن ابن حزم الأندلسي كان يقدم لنا الحدث القصصي مستشهدا به حسب الموضوع مرة واحدة ولا يعيد تكرار سرده بغض النظر إن كان هذا الحدث قد وقع مرة واحدة أو تكرر. ولعل وجود هذا النمط من التواتر السردي يرجع إلى عدة أسباب، نذكر منها:

- تقسيم الكتاب إلى أبواب حيث يختلف الموضوع حسب كل باب، ما يعني تنوع القصص المستشهد بها واختلافها، يفتح مجالا لذكر اكبر عدد ممكن من الأحداث، وبهذا يتم الاستغناء عن ذكر الحدث الواحد أو القصة الواحدة عدة مرات.

- ثقافة ابن حزم الغزيرة واطلاعه الواسع في التاريخ، المجتمع، الدين، وتحصيله الكبير للمعارف والمعلومات عن الحياة الأندلسية خاصة و العربية عامة، في عصره وقبله، كوّن له مادة سردية كثيفة فأراد توظيفها حين جاء يصنف كتابا في الحب وقصصه، ورغبة منه في إيصال ذلك الزخم وجد نفسه يذكر القصص مرة واحدة ويتجنب تكرارها كي يتسنى له ذكر ما استطاع ذكره.

وفي ختام هذه القراءة يمكننا عموما القول إنّ ابن حزم الأندلسي عمد إلى توظيف قصص الحب توظيفا فنيا جماليا و في الوقت نفسه الحفاظ على وحدة الموضوع التي ضمنت له تلك القصص ، بما سماه أبواب الحب ، و مما سبق يتضح أنّ وظيفة السرد في كتابه كانت للاستشهاد ، فهو يخوض و يفصّل في القضية أو الباب ، ثم يسرد لنا قصة ما ، يستدل بها على ما يقول.

و تتميز القصص في كتابه باحتوائها على جميع مكونات السرد بما فيها الزمن، إذ لا يمكن للقصة أن تكتمل بعزل هذا المكون عن المكونات الأخرى، فاعتماد المقولات التحليلية البنيوية التي كرّسها جينيت يساعدنا على الإجلاء والكشف عن العناصر الزمنية في قصص طوق الحمامة ، بشكل يؤكد وجود السرد في هذا الكتاب.

الهوامش:

[1] مباركة حاجي: الظاهرة الجمالية بين ابن حزم الأندلسي وأبي حامد الغزالي من خلال طوق الحمامة وإحياء علوم الدين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الجمال، (مخطوط)، بإشراف طالبي عمار ومحمد بن بريكة، جامعة الجزائر 2، 2005/2004، ص 105

[2] علي أبو الوليد بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1975، ص 54

[3] ابن جزم الأندلسي: رسائل ابن حزم، تح: إحسان عباس، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987 ، ص81

[4] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص 126

[5] المصدر نفسه، ص 195

[6] مباركة حاجي: الظاهرة الجمالية بين ابن حزم وأبي حامد الغزالي، ص 107

[7] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص 228

[8] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة لابن حزم، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا (مصر)، 2004، ص 16

[9] المرجع نفسه، ص 20

[10] ينظر ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ص 55 وما بعدها

[11] ينظر عمر عبد الواحد: نية الخبر، ص 20 - 21

[12] عبد الحليم كبوط: مكاشفة سيميائية دلالية لقصص الحب في رسالة طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، محاضرات الملتقى الدولي الخامس حول السيمياء والنص الأدبي، 15 – 17 نوفمبر 2008، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)، ص 653

[13] لحسن كرومي: حركية الزمان وجدليات المكان في رواية الزلزال، قراءة سيميائية، مجلة إبداع (إلكترونية)، جمعية رضا حوحو، بشار، ع3، 1998

[14] أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 30

[15] هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النقد بإشراف أ.د صلاح السروي، كلية الآداب، جامعة حلوان (مصر)، 2005، ص 41

[16] ينظر سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 26

[17] ينظر Voir Gerard Genette: Figures III, pp 77 - 78

[18] إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، رواية جهاد المحبين لجورجي زيدان نموذجا، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999، ص 45

[19] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 137

[20] ابن جزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص 294

[21] ينظر عمر عبد الواحد: بنية الخبر دراسة في طوق الحمامة، ص 138

[22] ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ص 122

[23] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 39

[24] حكيمة بوقرومة: منطق السرد في سورة الكهف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2011، ص 116

[25] إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، ص 71

[26] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 142

[27] إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، ص 72

[28] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 143

[29] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص 87

[30] حميد لحميداني: بنية النص السردي، ص 76

[31] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص 227

[32] حكيمة بوقرومة: منطق السرد في سورة الكهف، ص 122

[33] حميد لحميداني: بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء، ط3 ، 2000، ص78

[34] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 147

[35] ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ص 82

[36] ينظر حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 175

[37] Gérard Genette; Figures III, p94

[38] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 151

[39] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص 139

[40] عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 151

[41] Gérard Genette; Figures III,Ed Cérès , Tunis, 2ème pub , 1993 p145

[42] Ipid, p 146

[43] ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والتقنيات، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص232

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد قاسم سيزا: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984
- أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2009
- إبداع، مجلة إلكترونية، جمعية رضا حوحو، بشار، العدد الثالث، سنة 1998
- إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، رواية جهاد المحبين لجورجي زيدان نموذجا، دار الآفاق، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1999
- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1990
- حكيمة بوقرومة: منطق السرد في سورة الكهف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2011
- حميد لحميداني: بنية النص السّردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ، سنة 2000
- عبد الحليم كبوط: مكاشفة سيميائية دلالية لقصص الحب في رسالة طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، محاضرات الملتقى الدولي الخامس حول السيمياء والنص الأدبي، 15 – 17 نوفمبر 2008، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)
- علي أبو الوليد بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري:
* رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1987
* طوق الحمامة في الألفة والألاّف، تحقيق فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة 1975
- عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة لابن حزم، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا (مصر)، 2004
- مباركة حاجي: الظاهرة الجمالية بين ابن حزم الأندلسي وأبي حامد الغزالي من خلال طوق الحمامة وإحياء علوم الدين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الجمال، (مخطوط)، بإشراف طالبي عمار ومحمد بن بريكة، جامعة الجزائر 2، 2005/2004
- عبد الحليم كبوط: مكاشفة سيميائية دلالية لقصص الحب في رسالة طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، محاضرات الملتقى الدولي الخامس حول السيمياء والنص الأدبي، 15 – 17 نوفمبر 2008، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)

- ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والتقنيات، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة 2003
- هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النقد بإشراف أ.د صلاح السروي، كلية الآداب، جامعة حلوان (مصر)
- Gérard Genette: Figures III, Cérès Edition, Tunis, Deuxième Publication, Année 1993

*** *** ***